ميلاد الرسول ﷺ(*)

أعدْ ذكراهُ في الكونِ شدواً مرنماً ... فللهِ ما أحلاهُ ذكراً وأكرما
وطفْ بحديثٍ في فمِ الدهرِ عاطرٍ ... أضاءَ لهُ وجهُ الورى وتبسَّما
فما الكأسُ إذ تأتيك من يد كاعبٍ ... مخضبةِ الأطرافِ معسولةِ اللَّمى(١)
تدورُ بها والعينُ فاضت بمثلها ... فلمْ تَدْرِ أياً قد تصبَّتك منهما
بأطربَ من ذكرِ الرسولِ إذا جرى ... وفاضَ فلمْ يترك فؤاداً ولا فما

* . * . * . * . *

ألا ليتَ شعري أي نورٍ مقدسٍ ... بدا وظلامُ الليلِ قد كان أسحما(٢)
أضاء ضياءَ الفجر، والفجرُ ساطعٌ ... وفاض على البيداء كالغيثِ إذهمى(٣)
وأيُ وليدٍ ذاك من أشرقت لهُ ... ربوعٌ عليها الجهلُ رانَ وخيَّما(٤)
أتى حاملاً للكونِ نوراً ورحمةً ... ففاضَ هناءً بعدما فاضَ مأثما
وقرَّتْ به عينان: عينٌ لجدهِ ... وعينٌ لأمٍ قد بكتْ زوجها دما
كذلك شاءَ اللهُ أن الذي بهِ ... تردَّتْ بقاعُ الكونِ للهديِ معلَما

(*) ألقيت في الليلة الختامية للاحتفال بذكرى ميلاد الرسول العظيم ﷺ بانشاص في ١٩ نوفمبر - يشرين الثاني - ١٩٥٣ .

(١) الكاعب : الجارية التي ظهر ثدياها. مخضبة الأطراف: أي مصبوغة الأطراف بالحناء. معسولة اللمى: اللمى: سمرة في الشفاة. وهنا يصفها بأنها كالعسل في اللون والطعم.

(٢) اسحم : السحمة السواد. الأسحم : الأسود.

(٣) همـا : انهمر وسقط. .

(٤) ران : غلب.

يطلُ على الدنيا وحيداً بـلا أبٍ ... وتـأتي بـه الأقـدارُ طِفـلاً ميتَّمـا
وجمَّلهُ الـرحمنُ إذ كـانَ أمـرهُ ... خَفيًّا بظهرِ الغيبِ لم يبدُ، مبهما[1]
فما كانَ بالإثمِ الذي عمَّ مولعاً ... ولا كانَ باللهوِ الذي شاعَ مَغرما[2]
وجـاوزَ إغراء الشبـابِ وقـد أبى ... له الله إلا أن يصانَ ويُعصما[3]
فما ذاقَ في طورِ الطفولـةِ لينَها ... ولا عاشَ في طورِ الشبابِ منعَّما
وما ذاكَ ضنٌّ بالهناءِ على الفتى ... فما كانَ من نيلِ الهناءِ ليُحرما[4]
ولـكـنَّـهُ أمـرٌ يُـعـدُ لـحـمـلِهِ ... صغيراً، فكانَ الهدى أجدى وأحزما[5]
لهـذا رآه القـومُ إذ قـامَ داعيـاً ... قوياً، صبوراً، ما اشتكى أو تبرما[6]

* . * . * . * . *

بنفسيَ منْ قـد قامَ للدِّينِ بـانيـاً ... وكشَّفَ ليـلاً للغوايـةِ مُـظلمـا[7]
وجـاءَ بنـورِ الحقِّ، والحقُ أبلجٌ ... فبـدَّد غيمـاً للجهـالـةِ غيَّمـا[8]
يقـوِّمُ جهـالاً، وينشـر رحمـةً ... ويـرفـعُ أغـلالاً، ويُـوقظُ نُـومـا
وفي نُصرةِ الإيمانِ لمـا دعا لـهُ ... تكبَّـدَ أهـوالَ الأذى وتجشمَّـا[9]
لقد باتَ مـا يدعـو إليهِ محمـدٌ ... شَجاً في حلوقِ القوم بل كان علقما[10]

---

(١) أي تعهده الله سبحانه وتعالى منذ صغره قبل أن يدري أحد بأنه رسول الله ﷺ إلى العالمين، وكان واضح الخلق مستقيم الطبع، قدوة للناس في كل فضيلة.
(٢) مولـع : مغرم ومحب.
(٣) لقد عصم الله نبينا محمداً ﷺ وصانه من كل المنكرات والخبائث قبل البعثة وبعدها.
(٤) ضن: بخـل .
(٥) أجدى : أنفع، أحزم : أقوى وأفضل.
(٦) تبرما : مل وضجـر.
(٧) كشّف ليلاً: أظهر ما كانت عليه الجاهلية من الشرك والضلال والفساد.
(٨) أبلح : من بلج بمعنى أشرق أي مشرق.
(٩) تكبد: وتجشم : قاسي وتحمل وتكلف على شدة الأمر.
(١٠) الشَجا : ما ينشب في الحلق من عظم وغيره فيعيق التنفس والبلع ويسبب الضيق.

فمدَّ يد الإرهاب كل مُضلِّل ... غويٍ بأحضانِ الشقاءِ قد ارتمى

يُريدُ لدينِ الحقِّ وأداً وضَيعةً ... ألا بُترتْ يُمناه كفاً ومعصما[1]

عقولٌ يُريها الحقدُ في الهديِ سُبةً ... ويُملي عليها أن تثورَ وتنعما[2]

قلوبٌ عليها للضَّلالِ غشاوةٌ ... فأنى لها أنْ تَستجيبَ وتفهما

أتى بكتابِ اللهِ أصدقِ آيةٍ ... فأعجزَ أربابَ البيانِ وأفحما[3]

وما اسطاعَ إتياناً بأقصرِ سورةٍ ... من المِثْلِ من قد كانَ في القولِ مُلْهَماً[4]

وجادَلَهمْ كي يستَميلَ قُلوبهم ... فكانَ كذي حِلمٍ بليلٍ توهَّما

هُمُ قد أجابوا قَولَهُ ودعاءَهُ ... إذا كان يشفي الآلُ من غِلَّة الظما[5]

وقالوا فقيرٌ ينشدُ الجاهَ والغنى ... ومهمَلُ قومٍ شاءَ أن يتزعَّما

خُرافاتُ مجنونٍ، وأوهامُ شاعرٍ ... بهِ من رئيِّ الجنِّ داءٌ تحكَّما

هُمُ أوغلوا في إفكهمْ وعِنادهمْ ... وكان الذي قالوهُ وهماً مرَّجما[6]

فما ضرّهمْ لو أنهمْ سمعوا لهُ ... وما كان في صدقِ الحديث مذمما[7]

أتاهمْ بنورِ اللهِ والصدقِ والهُدى ... فما بالُ وجهِ الكُفر منهم تجهَّما[8]

هو الحقُّ لكن كيف يهدي لنورهِ ... وإن كانَ مثلَ الشمسِ من بات ذاعمى

---

(١) الوأد : الدفن في القبر للحي.

(٢) سبة : عاراً . تنعما: بمعنى تفسد في الحياة الدنيا.

(٣) أفحما : أسكته في الخصومة.

(٤) يشير إلى تحدي القرآن للعرب في أن يأتوا بمثل أية من آياته كما في قوله تعالى: ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين﴾ البقرة ـ ٢٣.

(٥) الآل : السراب الخادع.
إشارة إلى عرض قريش على رسول الله ﷺ المال والملك والجاه والطب إذا كان يريد بما جاء به الملك أو المال أو كان به مس من الجن والحادثة في سيرة ابن

(٦) هشام وغيره من كتب السير والتاريخ.

(٧) مُذمماً : مذموماً أو مطعوناً في صدقه. وقد كانوا يلقبونه ـ عليه الصلاة والسلام ـ بالأمين والصادق.

(٨) تجهّم : أي استقبلوا الأمر بوجه عابس كالح.

أبى الكفرُ إلا شقوةً وسفاهةً ... فباتَ امتشاقُ السيفِ أمراً محتما[1]

وذو الحلمِ إن يغضبْ فغضبةُ ثائرٍ ... رأى العارَ في أن يستكين ويكظما[2]

ولما أرادَ اللهُ نصراً لدينه ... أهابَ بسيفِ الحقِّ أنْ يتكلَّما

فأذَّنَ داعٍ للجهادِ: أن انفروا ... ألا فليُجبْ من كانَ للهِ مُسلما

فبادرَ نَبَّالٌ فراشَ سِهامهُ ... وأسرعَ قتَّال فجرَّد مَخْذَما[3]

أجابتْ نداءَ الحقِّ في اللهِ إذ دعا ... نفوسٌ ترى الإيمانَ أن تتقدما

وسلَّتْ بفدرٍ للجهارِ بواترٌ ... أبتْ في سبيلِ الله أن تتثلَّما[4]

على صفحةالبيداءِ والسيفُ قائمٌ ... تبدَّى مثارُ النقعِ كالليلِ أقتما[5]

قدِ التحمَ الجيشانِ: جيشُ ضلالةٍ ... وجيشٌ على الإيمانِ بالحقِّ صمما

هنا وقفَ التاريخُ وقفةَ شاهدٍ ... وقد أمسكتْ كفاهُ لوحاً ومرقما[6]

وقامَ رسولُ اللهِ، للهِ ضارعاً ... يسائلُهُ الوعدَ الذي كانَ أبرما

وراحَ إليهِ والقنا تضربُ القنا ... ينادِيهِ : راشَ الكفرُ للدِّين أسهما[7]

وجاءَ إلينا في عتادٍ وعدّةٍ ... يريدُ لهذا الدينِ أنْ يتحطَّما

تباركتَ: إن تهلكْ لدينكَ عُصبةٌ ... فلنْ يعبدوا في الأرضِ رباً معظَّما[8]

فما هي إلا كرَّةٌ عادَ بعدها ... وقد أوردوا القومَ اللئامَ جهنما

---

(١) امتشاق : من المشق: وهو السرعة في الطعن والضرب والأكل، امتشق الشيء من يده: اختلسه بسرعة.

(٢) يكظم : من كظم . بمعنى اجترع غيظه.

(٣) النبال: على وزن فعال (صيغة مبالغة) بمعنى رامي النبل أو صاحب التبل، والقتال: هو الذي يقتل، المخذما: السيف القاطع. راش: وضع الريش للهسم قبل رميه.

(٤) بواتر : جمع باتر، وهو السيف القاطع، تثلم: من ثَلَم: وهو الخلل، والثلم في السيف: هو انكسار في شفته شيء.

(٥) النقع : الغبار. أقتم: من القتام وهو الغبار، والأقتم: لون فيه غبره وحمره.

(٦) مرقم : قلم .

(٧) راش : وضع الريش للسهم.

(٨) إشارة إلى قوله ﷺ في بدر وهو يناشد ربه: «اللَّهم إن تهلك هذه العصابة اليومَ لا تعبد».

وقـوَّمها بـالسيفِ والرُمـحِ والقنـا ... نفـوساً أبتْ بـاللينِ أن تتقـوَّمـا

فيـا لـكَ من جيشٍ حمـاهُ إلهُـهُ ... وديـنٍ رعـاهُ اللهُ أنْ يتـهـدّمـا

فلمْ يـرمهمْ رامٍ بنـافـذِ سهمِـهِ ... ولكنَّ ربَّ الدينِ من فوقهم رمى[1]

وحدِّثْ عن الفتحِ المبينِ وما بدا ... لأُمِّ القـرى لمـا إليهـا تيمَّمـا[2]

ألمْ يُقبلُ الداعي الفقيرُ بجحفلٍ ... يَشقُّ هضاب البيدِ سيلاً عرمـرما

بكلِّ فتىً أمضى من السيفِ عزمُه ... إذا ما بدتْ للحربِ نارٌ تقحَّمـا

تـراهُ إذا مـا لفَّـهُ الليـلُ قـانِتـاً ... ويبدو إذا ما كرّتِ الخيلُ ضيغما[3]

ألمْ يدخُلِ البيتَ الممنَّـعَ فاتحـاً ... وكـانَ عليهِ البيتُ قبـلاً مُحـرّمـا

فكم من إلهٍ تحت أقدامِ جُنـدِهِ ... هـمُ نصبـوهُ قـد وهى وتهشمـا

ألا سائِلِ القـومَ الذينَ مشـوا لهُ ... وساقوا إليهِ الكيد كالحقدِ مؤلما

وصبوا عليهِ السوط ـ سوط عذابهم ـ ... إلى أنْ رأى في هجرةِ الدارِ مَغْنما

وإن كانَ ظُلمُ الناسِ للمرءِ مؤلماً ... فقَدْ كانَ ظلمُ الأهْلِ أنكى وآلما

أما جمعوا بالبيتِ من كل ناقمٍ ... إلى ذلكَ الغازي أساءَ وأجْرما

أمـا أطرقـوا رأساً مخـافةَ بـأسـه ... وقد شربوا كأسَ المـذلَّةِ مفعمـا

أما قدّروا أن يبطشَ البطشةَ التي ... جَنـوها وهم كـانوا أعقَّ وأظلمـا

فمالَ إلى الصفحِ الجميلِ عن الأذى ... ولو قدْ أتاها كانَ للعدلِ محكما

ولكنَّـهُ داعٍ إلى الخيـرِ، شـأنـهُ ... إذا ما أساؤُوا أن يقيلَ ويرحما[4]

أقـامَ يتيمَ البيـدِ أركـانَ دولـةٍ ... ووطَّـدهُ في الأرضِ ديناً ودّعمـا

هـو الحقُّ قد أرسى الإلـه بناءَهُ ... وأكْملَهُ الـقـرآنُ نـوراً وتمَّـمـا

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾.

(٢) يقصد بأم القرى مكة ويتحدث عن فتحهـا.

(٣) فالمسلمون كما وصفوا: «رهبان في الليل فرسان في النهار».

(٤) إشارة إلى اجتماع قريش عند رسول الله ﷺ أمام الكعبة بعد الفتح ـ وسؤاله ﷺ لهم ـ «ما تظنون أني فاعل بكم؟» فقالوا: خيراً أخ كريم وابن أخ كريم، قال: «فاذهبوا فأنتم الطلقاء».

دعامتُهُ الشورى، وشِرعتُهُ الهدى، بـهِ منَّ رحمن السمـاءِ وأنعمـا
لديهِ استوى من لم يُزنـهُ نِجاره ومن لقريشٍ في الأنامِ قد انتمى[1]
فـلا فضـلَ إلا بـالتقى ولـو أنـه يكونُ لمنْ قد عاشَ بالفقرِ مُعدما
لقـد أخـذَ الأُميُّ يسعى بقـومِـهِ إلى ذروةِ العليـاءِ حتى تسنَّمـا
وقـادَ رعاة الضـأنِ شامـخَ دولـةٍ كما لمْ يَقدْ من قبلُ من كانَ قيِّما
هُمُ ملكـوا الدنيـا فنالت بـظلهمْ عدالةَ تشـريعٍ، وحكمـاً مُنظَّمـا
وسارتْ على الأيامِ يزدادُ بأسُها وتصعَـدُ للعليـاءِ والمجـدِ سلَّمـا
فلمَّا استقامَ الملكُ وانتظمَ الورى وشارفَ في العلياءِ بالأفقِ أنجما
أضعناهُ عن ضعفٍ وذلٍ ولمْ نقمْ عليـهِ وقدْ أودى حِـداداً ومـأنمـا
فما عُرفَ الإسلامُ من بعدهم سوى ذليلٍ عن الإسراعِ للمجدِ أحجما
فعـادَ عزيـزُ الـدينِ ينـدبُ عِـزةً ويلعقُ جـرحاً في الفؤادِ مُكتَّمـا
فيا ربِّ إن يُصبحْ بنا الغربُ هازئاً فقـد كانَ منـا من غـزاهُ وعلَّمـا
نِدمنا على ما ضاعَ لو كانَ مُجدياً لـطالبِ مجـدٍ ضـاعَ أنْ يتنـدمـا

* . * . * . * . *

(١) نجاره : نسبـه.